

مدينة الكوفة دراسة جغرافية تحليلية

أ.م.د. أعياد عبد الرضا عبدالله

م.د.د. عبد الستار عبود كاظم

جامعة بغداد/ كلية التربية ابن رشد/ قسم الجغرافية

المقدمة:

تعد مدينة الكوفة من المدن التي ما تزال تقدم خدماتها لسكانها ولزوارها من مختلف أنحاء العالم ومدينة الكوفة التي نشهدها اليوم قد بنيت على أنقاض الكوفة القديمة وما يزال جامعها يشغل مكاناً من البلدة وتقام فيه الصلوات الخمس.

أما عن النواة الأولى للمدينة فجاء عندما انطلقت الجيوش العربية براية الإسلام عام ١٧هـ - ٦٣٨م محرره مناطق كثيرة من العراق برزت ضرورة من اتخاذ مركز انطلاق للجيوش ويبدو أن الظروف المناخية وموقعها كقاعدة للربط بين الجيش والقاعدة في شبه الجزيره العربية جعل منها لتكون دار هجرة للمسلمين ومن كافة أصقاع العالم.

تخطيط الكوفة يشبه إلى حد كبير تخطيط مدينة البصرة فجاء المسجد الجامع في وسط المدينة ودار الإمارة قريه منه وجعل الناس يسكنون حول المكان المختار للجامع ودار الإمارة كما كان من خطط الكوفة أن تكون شوارعها الرئيسة ٤٠ ذراعاً والمتوسطة ٢٠ ذراعاً والازقة ٧ ذراع وتوسط كل محلة ساحة طول ضلعها ٦٠ ذراعاً وقد اتخذت أسماء الشوارع من أسماء القبائل التي نزلت فيها. ويلاحظ أن من خطط المدينة أن لا يزيد عدد غرف الدار الواحدة عن ثلاث ولا يزيد ارتفاعها عن طابق واحد ليزيد المدينة جمالاً وسحراً ولتظهر معالم الجامع عن بعد.

ورغم ما تعرضت له مدينة الكوفة من ويلات ونكبات وتخريب، فإن الحياة استمرت فيها وساهمت تلك المدينة في البناء الحضاري للقطر. وأصبح فيما بعد ظهر الكوفة (الثوية) مقبرة للمسلمين في الكوفة، وفيهم عدد كبير من الصحابة والتابعين وكان أول من دفن في النجف الصحابي الجليل خباب بن الأرت الذي صلى عليه الإمام علي (عليه السلام) وذلك في سنة ٣٧هـ.

وفي الكوفة عدة مراقد منها مرقد مسلم بن عقيل، ومرقد هاني بن عروة، ومرقد ميثم التمار، ومرقد السيد إبراهيم بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن الإمام علي بن أبي طالب (ع) الملقب (سيد إبراهيم الغمر).

اولاً/ المشكلة:

ماهي ابرز العوامل التي ادت الى انشاء مدينة الكوفة؟

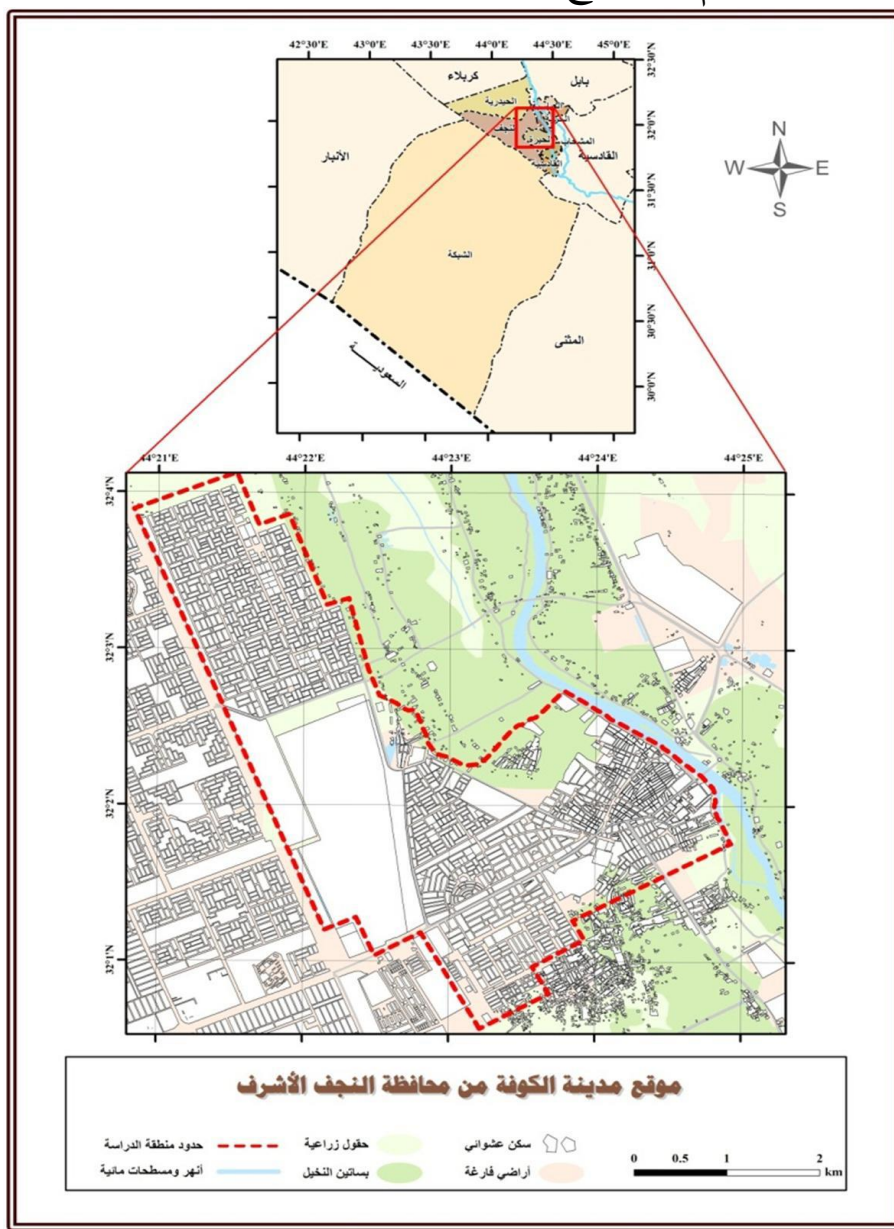
ثانياً/ الفرضية:

اسهمت عدة عوامل في انشاء مدينة الكوفة منها عوامل عسكرية واقتصادية وتاريخية ودينية ودوافع امنية ومن اهم هذه العوامل هو العامل العسكري حيث الفتوحات الاسلامية التي كان يحققها الجيش الاسلامي لنشر الدين الاسلامي الحنيف في اصقاع الارض.

الموقع الجغرافي:

تقع المدينة على الضفة اليمنى لنهر الفرات الأوسط (شط الهندية القديم) شرق مدينة النجف بنحو ١٠ كم وغرب العاصمة بغداد بنحو ١٥٦ كم. ترتفع المدينة عن سطح البحر بنحو ٢٢ م ويحدها من الشمال مدينة الكفل (محافظة بابل) ومن الشرق ناحية السنية

خارطة رقم (١) موقع مدينة الكوفة من محافظة النجف الاشرف



المصدر: عبد الصاحب ناجي رشيد، التحليل المكاني لاستعمالات الارض السكنية في مدينة الكوفة، ٢٠١٨.

وناحية (الصلاحية) محافظة الديوانية (ومن الغرب كربي سعد، ومن الجنوب قضاء ابي صخير، وناحية الحيرة. أما فلكياً فانها تقع على دائرة عرض (٣٢,٠٣N) وخط طول

(٤٤,٤E) بلغ سكان مدينة الكوفة حوالي (٢٣٠,٠٠٠) نسمة^(١) بحسب إحصاء ٢٠١٨ وتبلغ مساحة مركز القضاء (١٢٩ كم^٢) ويبلغ ارتفاعها (٢٢ م) عن مستوى سطح البحر.

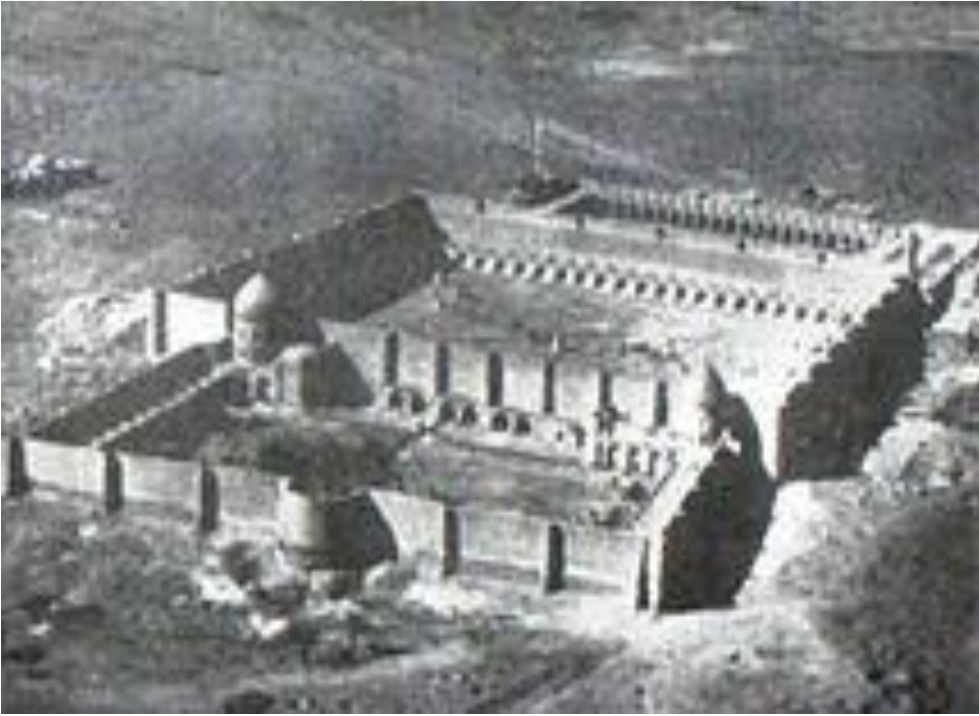
ثالثاً/ التسمية:

حينما مصرها العرب عرفت بالكوفة من التكوف (التجمع) وسميت كوفاني (المواضع المستديرة من الرمل) ،^(٢) وكل ارض فيها الحصباء مع الطين والرمل تسمى كوفة ، وسميت كوفان بمعنى (البلاء والشر) أو (ما بين الدغل والقصب والخشب) وسميت كوفة الجند لأنها اسست لتكون قاعدة عسكرية تتجمع فيها الجند ومهما يكن فأن اسمها اسم عربي ، وقيل ان اسمها سرياني.^(٣)

رابعاً/ معنى الكوفة:

قيل أن المواضع المستديرة من الرمل تسمى كوفاني. وبعضهم يسمي الأرض التي فيها الحصباء مع الطين والرمل كوفة.^(٤) وقال الأثرم كما عن البلاذري: التكوف يعني الاجتماع. وأورد ياقوت الحموي نفس ما ذكره البلاذري في معنى الكوفة، مضيفاً إليه: والكوفان الإستدارة، وكوفان اسم أرض وبها سميت الكوفة، وكوفان والكوفة واحد.^(٥)

الشكل (١) مسجد الكوفة الأعظم سنة ١٩١٥ م



خامساً/ التوسعة والاعمار:

١. في عهد المغيرة بن شعبة (سنة ٥٠ هـ) بنيت جدران بيوتها باللبن وفي عهد زياد بن أبيه (ت سنة ٥٣ هـ) شيدت بالآجر ، وأول ما شيد ابواب الدور ، وأول دور نهضت كانت بشارع كندة (محلة المتنبى). - أول شيء اختطه أبو الهياج الاسدي في الكوفة مسجدها في وسطها على بعد ٥ ، ١ كم من الفرات وحفر خندقاً عليه وبنى في مقدمته صفة من رخام الاكاسرة ، جيء به من الحيرة ، وكان يتسع إلى ٤ الاف انسان وزاد به عبيد الله بن زياد حتى صار يتسع لـ ٢٠ الف إنسان^(٦)

الشكل (٢) مسجد الكوفة ٢٠١٨



المصدر/ الباحثان بالاعتماد على الدراسة الميدانية ٢٠١٨.

الشكل (٢) الكوفة سنة ١٩٣٢ م



المصدر/ الباحثان بالاعتماد على الشبكة العنكبوتية (الانترنت).

٢. في رجب سنة ٣٦ هـ حين شرفها الامام علي بن أبي طالب غير في الاقسام القبلية للكوفة واجرى بعض التنقلات بين القبائل وحفر فيها بئراً ليس هنالك أعذب من مائها.

٣. انشأ زياد بن ابيه (ت سنة ٥٣ هـ) جسراً يمنع فيضان الكوفة ظل هذا الجسر قائماً طوال الحكم الاموي وقام باصلاحه وتجديده كل من عمر بن هبيرة (سنة ١٠٣ هـ) و خالد بن عبد الله القسري (١٠٥ هـ).
٤. احدث ابن هبيرة قنطرة الكوفة المعروفة عند الناس (كنيدرة) في الجانب الشرقي من جامع الكوفة واصلاحها من بعده الامير خالد القسري.
٥. في عهد الوالي خالد بن عبد الله القسري (المتوفى سنة ١٢٦ هـ) بني فيها الاسواق وجعل لاهل كل باعة داراً وطاقاً وجعل غلالها للجند.
٦. سنة ١٣٦ هـ بنى ابو جعفر المنصور قصراً يعرف بـ (ابي الخصيب) وحفر خندقاً وسور المدينة بسور.
٧. سنة ٣١٤ هـ وفي عهد المتنبّي (٣٠٣ - ٣٥٤ هـ) بلغت المدينة اقصى حالة من العمران والبناء.
٨. سنة ٦٧٦ هـ حفر عطاء الملك الجويني صاحب ديوان الدولة الايلخانية نهراً إلى ارض النجف واوصل الماء إلى مسجد الكوفة وسمي هذا النهر بـ (نهر التاجية) نسبة إلى المتولي على حفره السيد تاج الدين علي بن امير الدين أحد فضلاء ذلك العصر وأعلامهم.
٩. سنة ٩٤٣ هـ / امر الشاه طهماسب الأول الصفوي بحفر نهر من الفرات إلى الكوفة ويعرف النهر بالطهماسية ثم صحف إلى الطهمازية وفي سنة ١٠٣٢ هـ امر الشاه اسماعيل الاول بكري هذا النهر الذي طمّ في زمن محاصرة الاتراك للنجف ويعرف النهر بنهر الشاه او (الكرية).
١٠. سنة ١٢٠٨ هـ / حفر نهر الهندية.
١١. سنة ١٢٩٠ هـ هبطها بعض النازلين وبنوا فيها بيوتاً من القصب وحدثوا فيها البساتين على جانبي الفرات.
١٢. سنة ١٣٠٥ هـ / لما جف الماء في بحر النجف وبسعي وكيل منطقة السنية تقدم عمران الكوفة وحدث فيها الدور والاسواق حيث عرف هذا المكان أول الامر بـ (شريعة الكوفة).

١٣. سنة ١٣١٧ هـ نصب الجسر على نهر الفرات.

١٤. سنة ١٣٢٣ هـ مدت أسلاك البرق إلى الكوفة من الحلة.

١٥. سنة ١٣٢٥ هـ قام السيد علي كمونة سادن الحرم العلوي الشريف ببناء محل واسع وسوق وغرف لراحة الزائرين في المدينة.

١٦. سنة ١٣٢٧ هـ مدت سكة الحديد (الترامواي) بين الكوفة والنجف.

سادساً/ الغاية والأسباب التي دفعت المسلمين إلى إنشاء المدن:

هنالك عدة دوافع دفعت المسلمين لإنشاء المدن خارج شبه الجزيرة العربية أهمها:

١- الدافع العسكري: كانت الغاية العسكرية هي الدافع الرئيسي لبناء المدن الإسلامية لتكون مأوى للجنود والقادة العرب الفاتحين، بالإضافة إلى ذلك لتكون معسكرات ليستريح الجنود فيها. لذلك كان من المهم جداً اختيار الموقع المناسب لتحقيق هذه الغاية.

٢- الدافع الاقتصادي: بعد استقرار الحكم الإسلامي في البلاد المفتوحة أصبح الهدف من بناء المدن هدفاً اقتصادياً، بحيث تصبح هذه المدن مراكز تجارية يأتي إليها التجار والمتسوقين من أنحاء البلاد المفتوحة مما يساعد على تثبيت الحكم في تلك البلدان.

٣- الدافع السياسي: أنشأت بعض المدن الإسلامية لتكون مركزاً للخلافة ومقراً للسلطة الحاكمة، وخير مثال على ذلك مدينة بغداد، التي أنشأها أبو جعفر المنصور لتكون مقر للخلافة العباسية.

٤- الدافع الديني: أنشأت بعض المدن لتكون مركزاً روحي وديني لبعض الفرق الإسلامية، وخير مثال على ذلك بناء مدينة القاهرة لتكون مركزاً ديني للخلافة الفاطمية الشيعية.

٥- الدافع الخامس: كانت الغاية من بناء المدن في بعض الأحيان تحصن من الأعداء فقد بنيت بعض المدن على الحدود لتكون بمثابة حصون في حالة الحرب.

سابعاً/ أبرز الأحداث التي مرت بها الكوفة:

يبدأ تاريخ المدينة الفعلي بعد انهيار الحكم الساساني بالعراق سنة ٦٣٦ م. فقد كانت أولاً منزل العرب وحدهم وكان غالبيتهم عناصر متحضرة من اليمن وحضرموت ، ثم

نزلها الموالي من الفرس واخلاط من أبناء المدن المجاورة كالسريان والنبط والنصارى واليهود الذين أتوا إليها من اليمن سنة ٢٠ هـ.^(٧)

١. سنة ٣٠ هـ جرت حادثة ابي الحيسمان الخزاعي.

٢. سنة ٣٣ هـ جرت حادثة عبد الرحمن بن حبيش.

٣. سنة ٣٥ هـ كانت الكوفة مركزاً لانطلاق احداث كثيرة منها أن أهلها قد شاركوا اهل البصرة في الثورة ضد عثمان والتي ادت إلى قتله.

٤. سنة ٣٦ هـ جرت حادثة ابي موسى الاشعري الذي خذّل اهل الكوفة عن نصره الامام علي في وقعة الجمل ، وفي هذه السنة وفي شهر رجب شرف الكوفة الامام علي ونقل مركز الخلافة اليها ، ومن باب الكوفة (النخيلة) عسكر الامام علي لما خرج إلى صفين.

٥. سنة ٤٠ هـ قتل ابن ملجم المرادي الامام علي واعلن معاوية خلافته في الشام وارغم اهل الكوفة على مبايعته.

٦. سنة ٤١ هـ قتل زياد بن ابيه عمرو بن الحمق الخزاعي وحجر بن عدي.

٧. سنة ٤٩ هـ او ٥٠ هـ ضم معاوية الكوفة إلى زياد ابن ابيه وجمعها له مع البصرة ، وعُرفت المدينتان في العهد الاموي بـ (العراقيين) أي انهما عاصمتا العراق.

٨. سنة ٦٠ هـ قدم الكوفة مسلم بن عقيل سفير الامام الحسين وفي هذه السنة استشهد على يد عبيد الله بن زياد بعد خيانة الكوفيين وغدرهم به.

٩. سنة ٦٦ هـ حدثت ثورة التوابين ، وثورة المختار بن أبي عبيدة الثقفي ، وثورة زيد بن علي.

١٠. وفي ايام الحجاج ابن يوسف الثقفي جرت حادثة ابن الاشعث ، وحادثة قنبر مولى علي (ع) ، وحادثة كميل بن زياد ، وحادثة سعيد بن جبير.

١١. سنة ١٤٥ هـ وبعد تأسيس بغداد بدأت الكوفة تفقد اهميتها كمركز للامارة العامة ولكنها بقيت لمدة قليلة من الزمن مركزاً عسكرياً وثقافياً.

١٢. سنة ٣١٢ هـ استولى القرامطة على الكوفة وعبثوا فيها وفي سنة ٣١٧ هـ نقلوا الحجر الاسود اليها من مكة ونصب على مقام إبراهيم ودعا القرامطة الناس إلى حج مسجد الكوفة بدلاً من مكة.

١٣. سنة ٣٣٤ هـ استعادت الكوفة بعض مكائنها على يد البويهيين الذين اهتموا بها وبالنجف الاشرف والمشهد العلوي الشريف.

١٤. سنة ٣٧٥ هـ استولى القرامطة على الكوفة مرةً أخرى.

١٥. سنة ٥٨٠ هـ زارها الرحالة ابن جبير وشاهد علامات تأخرها وسقوطها وقال : ان من اسباب خرابها قبيلة خفاجة المجاورة لها.

١٦. سنة ٧٢٦ هـ زارها الرحالة ابن بطوطة وكان الجزء الأكبر منها مهجوراً بسبب غارات البدو المجاورين لها.

١٧. في العهد العثماني اصبحت الكوفة ناحية تابعة لادارة قضاء النجف.

١٨. كانت الكوفة مركزاً مهماً للعلم والآداب وكان الشعر فيها أكثر من البصرة وكانت الكناسة مثل مربد البصرة مكاناً للمفاخرات والمناظرات والتنافس ، كما ظهر فيها الخط الكوفي الذي اشتهر باسمها.

١٩. سنة ١٣٣٥ هـ / حدثت واقعة الكوفة بين أهلها وبني حسن.

٢٠. سنة ١٣٣٦ هـ / ١٩١٧ م قام النجفيون بثورة ضد الانكليز وكانت الكوفة مقر الاجتماعات والمفاوضات بين النجفيين والانكليز اذ كان يسكن فيها المرجع الديني السيد محمد كاظم اليزدي ، وفي هذه السنة ايضاً وردت الكوفة مقدمة الجيش الإنكليزي ، حيث عسكروا في (شريعة التبن) من شرائع الفرات في الكوفة.

٢١. سنة ١٩٢٠ م في المدينة وضعت الخطط لثورة العشرين ، وفيها اغرقت الباخرة الحربية (فاير فلاي) على يد الثوار ، وقصف الانكليز مسجد الكوفة.

ثامناً/ الاستنتاجات:

اسهمت في نشأت مدينة الكوفة عدة عوامل واسباب وكن منها اسباب عسكرية اقتصادية سياسية دينية دوافع دينية وكان اهم هذه العوامل هي العامل العسكري حيث تم انشاء المدينة عام ٦٣٨ على يد القائد المسلم سعد بن أبي وقاص ، كان السبب

الرئيسي لإنشاء هذه المدينة لتكون مركزاً عسكرياً وإدارياً للجيوش الإسلامية التي انتصرت على الفرس في معركة القادسية. ارتفعت مكانة الكوفة في عهد الخليفة الراشدي علي بن أبي طالب، إذ اتخذها مقر لخلافته، فهكذا تعتبر مدينة الكوفة من أهم المدن الشيعية. أهم معالمها المسجد ودار الإمارة.

المستخلص:

تعد مدينة الكوفة من المدن العراقية القديمة التي تأسست على انقاض مدينة الحيرة التي كانت عاصمة لدولة المناذرة في عصر ما قبل الاسلام والتي أعتلى عرشها النعمان بن المنذر ملك الحيرة، إذ أسسها سعد بن أبي وقاص واتخذها معسكراً لجنده، عام ٦٣٨ م، بعد معركة القادسية في زمن الخليفة عمر بن الخطاب. وارتبط تأسيسها بعملية الفتوحات العربية الإسلامية إذ تم انشائها كمحطة استراحة للجند والمجاهدين بعد أن طردوا الساسانيين منها.

وتعد مركز قضاء تتبع أدارياً إلى محافظة النجف وتبعد عن بغداد بنحو (١٥٦) كم و(١٠) كم شمال شرق النجف، إذ تحظى اليوم بأهمية كبيرة ومكانة متميزة تتناسب مع مكانتها التاريخية والعلمية والدينية التي تعكس أوجه التطور الثقافي والحضاري الذي وصلت اليه منذ نشأتها وإلى يومنا هذا.

أسهمت عدة عوامل في تأسيس ونشأة المدينة من أهمها (العامل التاريخي والعامل الطبيعي والعامل البشري والعامل الاقتصادي والاجتماعي والسياسي، وغيرها من العوامل الاخرى التي تضافرت مع بعضها البعض وأكسبتها مكانة اجتماعية مرموقة ما بين البلدان وميزتها عن باقي المدن).

ومن أهم العوامل التاريخية هي اتخاذها عاصمة للخلافة الإسلامية في خلافة الامام علي بن ابي طالب (كرم الله وجهه) وشهدت الكوفة أحداثاً وتطورات سياسية واضطرابات كثيرة ومهمة في تلك المدة الزمنية، حيث وقعت حادثة كربلاء (واقعة الطف) قريباً من الكوفة، وكان الجيش الذي خرج لقتال سيدنا الامام الحسين يتألف بشكل أساسي من أهل الكوفة، كما وقعت فيها أيضاً ثورات العلويين في النصف الثاني من القرن الثاني

للهجرة كثرة ابن طباطبا، وكذلك شهدت خروج أبو السرايا في زمن المأمون، وثورة القرامطة، وقد ازدهرت في أيام الحكم الأموي.

أما العوامل الدينية كان من أهمها (المكان الذي استشهد فيه الامام علي عليه السلام على يد الخارجي عبد الرحمن بن ملجم في شهر رمضان المبارك عند صلاة الفجر. حيث جرح رأسه الشريف في التاسع عشر من شهر رمضان المبارك وتوفي في الواحد والعشرون من الشهر نفسه.

وتحتوي المدينة على عدد من المراقد الدينية منها: مسجد الكوفة، ومحراب علي بن أبي طالب الذي استشهد فيه، ومرقد مسلم بن عقيل، وهانئ ابن عروة، وكذلك تحوي بيت علي والمسجد الاعظم ومسجد السهلة ومقام إبراهيم الغمر وكذلك مرقد المختار الثقفي.

اما العوامل الطبيعية (فكان السطح بالدرجة الاساس الذي تتمتع به المدينة من استواء والتربة الخصبة التي تصلح لزراعة كافة المحاصيل الزراعية وأشجار الفاكهة وكل اصناف التمور ، والموارد المائية التي في مقدمتها نهر الفرات الذي يمر بالمحافظة).

اما العوامل البشرية التي اسهمت في انشاء مدينة الكوفة هي جعلها حلقة الوصل بين المدينة المنورة وبين المناطق المحررة وملاذا امنا يحميهم في حال تعرضهم الى أي هجوم او خطر وكذلك تعد قاعدة عسكرية ومركزا تموينيا للجيش الاسلامي التي تشارك في الفتوحات الاسلامية في تلك المدة في العراق والمناطق المحررة).

الهوامش:

(١) إحصاء السكان لمدينة الكوفة/صفحة ١٢، ديوان محافظة النجف الاشرف

(٢) البلاذري ، فتوح البلدان، ص ٢٧٥؛ الحموي، معجم البلدان، ج ٤، ص ٣٩

(٣) مصطفى الموسوي: العوامل التاريخية لنشأة وتطور المدن العربية الإسلامية ، ص ٨٦ - ص ٨٧ .

(٤) راجع: البداية والنهاية لأبن كثير، والكمال لأبن الأثير، والعراق في التاريخ، ص ٣١٥.

(٥) بير دي قوصيل، الحياة في العراق منذ قرن ١٩١٤ - ١٨١٤ ترجمة الدكتور أكرم فاضل دار

الجمهورية بغداد ١٣٨٨ هـ ١٩٦٨ م.

- ٦) ليونارد بايندر. الثورة العقائدية في الشرق الأوسط، ترجمة: جبرى حماد، القاهرة: دار القيم، ١٩٦٦.
- ٧) ديوان الكميت بن زيد الأسدي، بتحقيق محمد نبيل، الطبعة الأولى، بيروت، دار صادر، ٢٠٠٠.
- المصادر:
١. إحصاء السكان لمدينة الكوفة/صفحة ١٢، ديوان محافظة النجف الاشرف
 ٢. البلاذري، فتوح البلدان، ص ٢٧٥؛ الحموي، معجم البلدان، ج ٤، ص ٣٩
 ٣. مصطفى الموسوي، العوامل التاريخية لنشأة وتطور المدن العربية الإسلامية، ص ٨٦ - ٨٧.
 ٤. راجع: البداية والنهاية لأبن كثير، والكامل لأبن الأثير، والعراق في التاريخ، ص ٣١٥.
 ٥. بيردي قوصيل، الحياة في العراق منذ قرن ١٩١٤ - ١٨١٤ ترجمة الدكتور أكرم فاضل دار الجمهورية بغداد ١٣٨٨ هـ ١٩٦٨ م.
 ٦. ليونارد بايندر. الثورة العقائدية في الشرق الأوسط، ترجمة: جبرى حماد، القاهرة: دار القيم، ١٩٦٦.
 ٧. ديوان الكميت بن زيد الأسدي، بتحقيق محمد نبيل، الطبعة الأولى، بيروت، دار صادر، ٢٠٠٠.